فُتني يا أحمد
من أخبار إمام أهل السنة
أبي عبد الله أحمد بن حنبل
رحمه الله

إعداد

خالد أبو صالح

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ناصر المستضعفين، ومجيب المضطرين، ومهلك الطغاة المتكبرين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

وقد اعترف الشيطان بضعفه وحقارته وقلة حيلته أمام العلم الشامخ أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ورضي عنه؛ فقد قال له وهو في سياق الموت: "فتَّني يا أحمد". قال ذلك بعد أن يئس من فتنته، وعلم بإماماته، وأيقن بحسن خاتمته، ورأى من قوته في الحق ما جعله يتصاغر أمامه، فأعلن هزيمته بمكر ودهاء قائلاً: "فتني يا أحمد".

والقصة يرويها عبد الله بن أحمد بن حنبل قائلاً: حضرت أبي الوفاة، فجلست عنده وبيده الخِرقة، وهو في النزع، فكان يغرق حتى نظن أنه قد قضى، ثم يفيق ويقول: لا بَعْدُ، لا بَعْدُ. ويشير بيده، ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبتِ

إيش هذا الذي قد لهجت به في هذا الوقت؟

فقال لي: يا بني! ما تدري؟

فقلت: لا.

فقال: إبليس لعنه الله قام بحذائي، عاضًا على أنامله.

يقول: يا أحمد! فتّني؟

وأنا أقول: لا بعدُ، حتى أموت[1].

ولكن ... ما الذي جعل إبليس – لعنه الله – يعلـــن هزيمتـــه واستسلامه أمام هذا الرجل؟

ما الذي جعله ييأس من فتنته عند الموت؟

ماذا رأى من هذا الإمام حتى شهد له بأنه من الذين لا سلطان له عليهم؟

إن أخبار أبي عبد الله أحمد بن حنبل تبين لنا ما الـــذي جعـــل إبليس ييأس من هذه الشخصية ويعترف لها بالفضل ... وســـوف نسرد بعض تلك الأخبار التي تلقي الضوء على جوانب متعددة من شخصية هذا الإمام المبجّل، والهمام المفضل أبي عبد الله أحمد بـــن حنبل.

قال أبو نعيم في صفته: لزم الاقتداء، وظفر بالاهتـــداء، عَلَـــمُ الزهّاد، وقلم النُّقّاد، امتُحن فكان في المحنة صبورًا، واحتبى فكـــان

(١) صفة الصفوة (٥٢٧/١)، وتهذيب حلية الأولياء (١٤٥/٣).

للنعمة شكورًا، كان للعلم والحلم واعيًا، وللهم والفكر راعيًا..

مولده رحمه الله:

قال أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل: سمعـــت أبي يقـــول: ولدت سنة أربع وستين ومائة (١٦٤هـــ) في أولها في ربيع الأول، وجيء به حملاً من مرو.

وتوفي أبوه محمد بن حنبل وله ثلاثون سنة، فوليته أمُّه.

علمه وثناء العلماء عليه:

- قال أبو الفضل: قال أبي: طلبت الحديث وأنا ابـــن ســـت عشرة سنة.

- عن ابن زنجويه قال: رأيت يزيد بن هارون يصلي، فجاء إليه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، فلما سلم يزيد من الصلاة، التفـــت إلى أحمد بن حنبل، فقال: يا أبا عبد الله! ما تقول في العاريـــة؟ قـــال: العاريةُ مؤدَّاة.

فقال له يزيد: أخبرنا حجاج، عـــن الحكـــم قـــال: ليســـت بمضمونة.

فقال له أحمد: قد استعار النبي ﷺ من صفوان بن أمية أدرعًـــا، فقال له: عاريةٌ مؤدّاة. فقال النبي ﷺ: العارية مؤداة. فسكت يزيد، وصار إلى قول أحمد بن حنبل [1].

(١) تهذيب الحلية (١٣٧/٣).

– وعن نوح بن حبيب النرسيّ قال: رأيت أبا عبد الله أحمــد بن حنبل في مسجد الخيف، في سنة ثمان وتسعين ومائة (١٩٨هـ) مستندًا إلى المنارة، وجاءه أصحاب الحديث وهو مستند، فجعــل يعلمهم الفقه والحديث، ويفتي لنا في المناسك.

– وقال عنه عبد الرحمن بن مهدي: هذا أعلم الناس بحــديث سفيان الثوري.

– وقال عنه أبو زرعة: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في فنــون العلم، وما قام أحدٌ مثل ما قام أحمد به.

وقال علي بن المديني: ليس من أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل؛ إنه لا يحدّث إلا من كتابه، ولنا فيه أسوةٌ حسنة(١).

وروى الخلال أن أحمد بن حنبل كان يجيء إلى أبي عبيد يسأله في الغريب(٢).

وقال مهنا بن يحيى الشامي: ما رأيت أحدًا أجمع لكل خير من أحمد بن حنبل، ورأيت سفيان بن عيينة، ووكيعًا، وعبد الــرزاق، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، وكثيرًا من العلماء، فما رأيــت مثل أحمد بن حنبل في علمه وفقهه، وزهده، وورعه.

– وعن أبي زرعة قال: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألــف حديث. فقيل له: وما يدريك؟

(١) انظر فيما سبق: تهذيب حلية الأولياء (٣/١٣٦-١٣٨).
(٢) الآداب الشرعية (٢/٦١).

قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب.

- وعن إبراهيم الحربي قال: رأيت أحمد بن حنبل، كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ما شاء ويمسك ما شاء.

قال ابن الجوزي: كانت مخايل النجابة تظهر من أحمد رضي الله عنه من زمان الصبا، وكان حفظه للعلم في ذلك الزمـــان غزيـــرًا وعمله به متوافرًا، فلذلك كان مشايخه يعظمونه؛ فكان إسماعيل بن علية يقدمه وقت الصلاة يصلي بهم [1].

- وقال علي بن المديني أيضًا: أحمد بن حنبل سيدنا!

- وقال قتيبة بن سعيد: لو أدرك أحمد بن حنبل عصر الثوري ومالك والأوزاعي والليث بن سعد لكان هو المقدم.

وقال يحيى بن سعيد القطَّان: ما قدم عليَّ مثل أحمد بن حنبـــل [2].

وكان رحمه الله أعرف الخلق بحـــديث رســـول الله ﷺ؛ روى مئات الآلاف من الأحاديث منها مائة وخمسون ألفًا بالأسانيد، مع معرفته بصحيحها من سقيمها، ورجالها الصادق منهم والضـــعيف والمنتحل[3].

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٥١٧، ٥١٨).
(٢) انظر: تهذيب الحلية (٣/١٣٨).
(٣) الروض الفائق في الزهد والرقائق ص(١٧٣).

رحلته في طلب الحديث:

قال الإمام أحمد رحمه الله: من أراد الحديث خدمه.

قال الحافظ البيهقي: قد خدمه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، فرحل فيه، وحفظه، وعلمه، وحمل شدائده.

ورحل رضي الله عنه في طلب العلم؛ فقد خرج إلى الكوفة سنة ثلاث وثمانين ومائة، وهو أول سفر له، وخرج إلى البصرة سنة ست وثمانين، وخرج إلى سفيان بن عيينة سنة سبع وثمانين، وهي أول سنة حج فيها، وخرج إلى عبد الرزاق بصنعاء اليمن سنة سبع وسبعين، ورافق يحيى بن معين في رحلته إليه [(١)].

وعن أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: لما قدم أحمد بن حنبل مكة من عند عبد الرزاق رأيت به شحوبًا، وقد تبين عليه أثر النصب والتعب.

فقلت: يا أبا عبد الله! لقد شققتَ على نفسك في خروجك إلى عبد الرزاق!

فقال: ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبد الرزاق؛ كتبنا عنه حديث الزهري، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، وحديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة [(٢)].

ولَمَّا خرج أحمد إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى

(١) ورثة الأنبياء ص(٥٩، ٦٠).
(٢) تهذيب الحلية (١٤٦/٣).

نفسه من بعض الحمَّالين ليؤمن نفقته، وقد كان أصحابه عرضـــوا عليه المواساة، فلم يقبل من أحد شيئًا.

وقال أحمد بن سنان الواسطي: بلغني أن أحمد بن حنبل رهـــن نعله عند خبازٍ على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن.

وسرقت ثيابه وهو باليمن، فجلس في بيته، وردَّ عليه البـــاب، وفقده أصحابه، فجاؤوا إليه فسألوه، فأخبرهم، فعرضوا عليه ذهبًا فلم يقبله، و لم يأخذ منهم إلا دينارًا واحدًا، أجرةً لما ينسخه لهم من كتب، فكتب لهم بالأجر رحمه الله ورضي عنه، وأعلى درجتـــه في المهديين.

دَبْـــتَ للمجـــد والســـاعون قـــد بلغـــوا
جَهْـــدَ النفـــوس وألقـــوا دونـــه الأُزُرا
وكابـــدوا المجـــدَ حـــتى مَـــلَّ أكثـــرهم
وعـــانق المجـــدَ مـــن أوفى ومـــن صـــبرا
لا تحســـب المجـــدَ تمـــرًا أنـــت آكلُـــه
لن تبلـــغ المجـــدَ حـــتى تلعـــقَ الصَّـــبرا[١]

عبادته رحمه الله:

وكان رحمه الله من العبَّاد المعروفين بكثرة العبادة من صـــلاة، وصيام، وقيام ليل، وتلاوة قرآن، وذكر لله عز وجل؛ فقد جمع الله له بين فضيلتي العلم والعمل.

(١) ورثة الأنبياء ص(٥٤-٥٧).

قال إدريس الحدَّاد: ما رأيت أحمد قطُّ إلا مصليًا، أو يقــرأ في المصحف أو كتاب، ما رأيته في شيء من أمور الدنيا[١].

وعن إبراهيم بن شماس قال: كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام يحيي الليل.

وعن أبي بكر المروذي قال: كنت مع أبي عبد الله نحــوًا مــن أربعة أشهر بالعسكر، لا يدع قيام الليل وقراءة النهار؛ فما علمت بختمة ختمها، كان يُسرُّ ذلك. وهذا يبيِّن شدَّة إخلاصه وحرصــه على ستر حاله وإخفاء طاعاته رضي الله عنه.

وعن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال: بتُّ ليلة عند أحمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر في الماء، فإذا هو كمــا كان، فقال: سبحان الله! رجلٌ يطلب العلــم لا يكــون لــه وردٌ بالليل[٢]!!

وهذا يبيِّن منهجه رحمه الله في اقتضاء العلم العمل، وأن العــالم لا بد أن يكون له حظ من الطاعة والعبادة والخلوة بين يــدي الله تعالى.

وقال إدريس الحداد: وكان إذا شهد جنازة لم يفطــر ذلــك اليوم، ولم ينم تلك الليلة، وكان إذا رأى قبرًا يبكي كمــا تبكــي الثَّكْلى[٣].

---

(١) الروض الفائق ص(١٧٢).
(٢) انظر: صفة الصفوة (٥١٨/١).
(٣) الروض الفائق ص(١٧٣).

وقال ابنه عبد الله: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط [١] أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وكان قرب الثمانين [٢].

وقال: رأيت أبي إذا اختفى أكثر ذلك يقرأ القرآن [٣].

وقال: كان أبي يقرأ في كل ليلة سُبعَ القرآن، ويختم في كلِّ سبعةِ أيَّام ختمة، ثم يقوم إلى الصباح.

قال ابنه أبو الفضل عن آخر حياته: وكان أبي قد أدمن الصوم، وجعل لا يأكل الدسم، وكان قبل ذلك يُشترى له شحم بدرهم، فيأكل منه شهرًا، فترك أكل الشحم، وأدام الصوم والعمل.

فلما كان أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين حُمَّ ليلة الأربعاء، وكان في خريقته قطيعات، فإذا أراد الشيء أعطينا من يشتري له.

وقال لي يوم الثلاثاء وأنا عنده: انظر في خريقتي شيء؟ فنظرت، فإذا فيها دراهم، فقال: وجّه اقتض بعض السكان، فوجهت، فأعطيت شيئًا، فقال: وجّه، فاشتر تمرًا، وكفّر عني كفارة يمين، فاشتريت وكفّرت عن يمينه، وبقي من ثمن التمر ثلاثة دراهم، فأخبرته فقال: الحمد لله.

---

(١) الأسواط التي ضرب بها في زمن المحنة لإجباره على القول بخلق القرآن، لكنه ثبت على الحق رغم شدة التعذيب، وسيأتي ذكر تلك المحنة، فرحمه الله ورضي الله عنه.
(٢) صفة الصفوة (١/٥٢٢، ٥٢٣).
(٣) الآداب الشرعية (٢/٣٠).

وكنتُ أنام بالليل إلى جنبه، فإذا أراد حاجة حركني فأناولـه، وجعل يحرِّك لسانه، ولم يئنَّ إلا في الليلة التي توفِّي فيها، ولم يـزل يصلي قائمًا، أمسكه فيركع ويسجد، وأرفعه، واجتمعـت عليـه أوجاع الخصر وغير ذلك، ولم يزل عقلُه ثابتًا، فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول لساعتين من النـهار سـنة إحدى وأربعين ومائتين توفي رحمة الله تعالى عليه (١). فكانت سنّه من يوم ولد إلى أن توفي سبعًا وسبعين سنة.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حجّ أبي خمس حجج ماشيًا، واثنتين راكبًا، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهمًا (٢)!

قال أبو عبد الله بن مفلح: ومن نظر في سيرة أبي عبد الله وجد همَّته في الخيرات والطاعات من أعلى الهمم، وأنه يصدق عليه مـا رواه الحاكم في تاريخه؛ أن دغفلاً دخل على معاوية فقال لـه: أي بيت أفخر؟

قال: قول الشاعر:

لـه همـمٌ لا منتـهى لكبارهـا
وهمتـه الصـغرى أجـلُّ مـن الـدهر
لـه راحـةٌ لـو أن معشـار جودهـا
على البرِّ كان البَرُّ أنـدى مـن البحـر (٣)

زُهده رحمه الله:

(١) تهذيب الحلية (٣/١٥٨).
(٢) السابق (٣/١٤٢).
(٣) الآداب الشرعية (٢/٢٩).

وأما زهده رضي الله عنه فقد عرفه القاصي والداني، وروي عنه في ذلك أخبار كثيرة.

عن أبي داود السجستاني قال: لقيت مائتين من مشايخ العلم، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل؛ لم يكن يخوض في شيء مما يخـــوِّف فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلّم [(١)].

وعن صالح ابنه قال: دخلت على أبي في أيام الواثق، والله يعلم في أي حالة نحن، وقد خرج لصلاة العصر، وقد كان لـــه لبـــدٌ [(٢)] يجلس عليها، قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بلي، فـــإذا تحتـــه كتاب كاغد [(٣)]، وإذا فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيـــه مـــن الضيق، وما عليك من الدَّيْن، وقد وَجَّهْتُ إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان؛ لتقضي بها دينك وتوسِّع بها على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة؛ وإنما هو شيء ورثْتُه من أبي.

قال صالح: فقرأتُ الكتاب ووضعتُه، فلما دخل أبي قلتُ: يـــا أبت ما هذا الكتاب؟ فاحمرَّ وجهُه وقال: رفعته منك ... ثم قـــال: تذهب بجوابه. فكتب إلى الرجل: وصل كتابك إليَّ ونحن في عافية؛ فأما الدين فإنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا فهم في نعمة والحمـــد لله.

فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فردَّ عليـــه

---

(١) تهذيب الحلية (١٣٧/٣).
(٢) اللبد: بساط من صوف.
(٣) الكاغد: القرطاس.

الجواب بمثل ما ردَّ، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال: لو كنا قبلناها ما كانت قد ذهبت [١].

وقال عبد الله كذلك: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يومًا، ما ذاق إلا مقدار ربع سويق [٢]، كل ليلة كان يشرب شربة ماء، وفي كل ثلاث ليال يستف حفنة من السويق، فرجع إلى البيت، و لم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر.

قال إدريس الحداد: لما زالت المحنة، وصرف أحمد إلى بيته، حمل إليه مال كثير جزيل، وهو محتاجٌ إلى أيسره، فردَّ جميع ذلك و لم يقبل منه قليلاً ولا كثيرًا، فجعل عمُّه إسحاق يحسب ما ردَّه في ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار.

فقال أحمد: يا عمّ! أراك مشغولاً بحساب ما لا يفيدك؟!

فقال: قد رددت اليوم كذا وكذا، وأنت محتاج إلى حبة!

قال: يا عم! لو طلبناه لم يأتنا، أتانا لَمَّا تركناه [٣].

وقال محمد بن موسى: حمل إلى الحسين بن عبد العزيز ميراثُه من مصر، وكان مبلغًا عظيمًا، فحمل منه إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار، وقال: يا أبا عبد الله! استعن به على عيالك.

فقال: لا حاجة لي بها؛ أنا في كفاية من الله تعالى، وردّها عليه[١].

(١) صفة الصفوة (١/٥٢٠، ٥٢١). وتهذيب الحلية (٣/١٤٢).

(٢) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير.

(٣) الروض الفائق ص(١٧٢).

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنت جالسًا عند أبي رحمه الله يومًا، فنظر إلى رجلي وهما لينتان، ليس فيهما شقاق، فقال لي: ما هذان الرجلان؟ لم لا تمشي حافيًا حتى تصير رجلين خشنتين [٢]!!

قال عبد الله: وخرج إلى طرسوس ماشيًا على قدميه.

وأنشد إسماعيل الترمذي:

إذا ميَّـــز الأشـــياخُ يومًـــا وحصـــلوا
فأحمـــد مـــن بـــين المشـــايخ جـــوهر
إذا افتخـــر الأقـــوام يومًـــا بســـيد
ففيـــه لنـــا والحمـــد لله مفخـــر
فيـــا أيهـــا الســـاعي ليـــدرك شـــأوه
رويـــدك عـــن إدراكـــه ستقصـــر
حمى نفســه الــدنيا وقــد سمحــت لــه
فمنزلـــه إلا مـــن القـــوت مقفـــر
فـــإن يـــك في الـــدنيا مقـــلاً فإنـــه
مـــن الأدب المحمـــود والعلـــم مكثـــر[٣]

وقال المروذي: قال لي أبو عبد الله: قد كفى بعض الناس مـــن مكة إلى هاهنا أربعة عشر درهمًا!

قلت: من يا أبا عبد الله؟

=

(١) السابق.
(٢) تهذيب الحلية (١٤٥/٣).
(٣) الآداب الشرعية (١٥/٢).

قال: أنا.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قد تفكَّرت في هـذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]. ثم قال: تفكَّرت في رزقهم – وأشار نحو العسكر – وقال: رزق يومٍ بيومٍ خير.

وقال لي أبو عبد الله يومًا: أخاف أن أفتن بالدنيا! كم بقي من عمري؟ الذي مضى أكثر، لي اليوم ست وسبعون سنة، ما تلبست لهم بشيء، وعامة أصحابي قد كتبوا أنفسهم في الغارمين، أنا في كل نعيم (١).

هيبته في النفوس وقوَّته في الحق:

كان الإمام أحمد رحمه الله بسبب صدقه مع الله وكثرة عبادته وثباته في مواقف المحن صاحب هيبة؛ فكان كل من يراه يهابه هيبة إجلال واحترام ومحبة وتقدير.

قال محمد بن مسلم: كنا نهاب أن نرادَّ أحمد بن حنبل في الشيء، أو نحاجه في شيء من الأشياء. يعني لجلالته ولهيبة الإسلام الذي رزقه (٢).

ولذلك كان لقوله قبولٌ عظيم بين الناس، ولرأيه مكانة في

(١) كتاب الورع للمروذي (ص ١٣٦-١٣٧).
(٢) الآداب الشرعية (٢/١٤).

قلوبهم.

قال الخلَّال: حدَّثنا المروذي قال: حضرت أبا ثور وقد سئل عن مسألة فقال: قال أبو عبد الله إمامنا. أو قال شيخنا أحمد بن حنبل فيها كذا وكذا. فجعل السائل يدعو له ولم يسأله عن رأيه.

فلما مضى التفت إلينا وقال: هذا لو أخبرته عن رأيي لكـــان يطوّل؛ فحيث قلت له: أحمد بن حنبل. مرَّ وسكت.

ومن أسباب هيبته - رحمه الله: قوَّته في الحق، وعدم خشيته في الله لومة لائم. وعن يحيى بن معين قال: أراد الناس منا أن نكـــون مثل أحمد بن حنبل، لا والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد بـــن حنبل، ولا على طريقة أحمد (١).

ولذلك كان العلماء وطلاب العلم يهابون أن يُحدِّثوا أمامـــه أمرًا يكرهه؛ فقد قال خلف بن سالم: كنا في مجلـــس يزيـــد بـــن هارون، فمزح يزيد مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، وكان في المجلس.

فقال يزيد: من المتنحنحُ؟

قالوا: أحمد بن حنبل!

فضرب بيده على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هاهنـــا حتى لا أمزح (٢)!

---

(١) تهذيب الحلية (١٣٨/٣).

(٢) السابق (١٣٩/٣).

وقال له محمد بن إدريس الشافعي: يا أبا عبد الله! إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله ﷺ فأخبرونا به حتى نرجع إليه!

هذه – والله – صفة العلماء الربانيين الذين طلبوا العلم لله وأخلصوا في طلبه؛ فلم يكونوا يتعصبون لآرائهم أو يتركون الاستفادة من غيرهم خشية الانتقاص أو زوال مكانتهم من النفوس؛ بل كانوا يكرهون الشهرة، ولولا نشر العلم لآثروا الانفراد والعزلة.

وعن زهير بن حرب قال: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل أشد قلبًا منه أن يكون قام ذلك المقام، ويرى ما يمرّ به من الضرب والقتل.

قال: وما قام أحدٌ مثلما قام أحمد، امتحن كذا كذا سنة، وطلب، فما ثبت أحدٌ على ما ثبت عليه [١].

وعن شجاع بن مخلد قال: كنتُ عند أبي الوليد الطيالسي، فورد عليه كتاب أحمد بن حنبل، فسمعته يقول: ما بالبصرتين – يعني البصرة والكوفة – أحد أحبّ إليَّ من أحمد بن حنبل، ولا أرفع قدرًا في نفسي منه [٢].

وعن مهنا بن يحيى قال: رأيت يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري حين أخرج أحمد بن حنبل من الحبس، وهو يقبِّل جبهة أحمد ووجهه، ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يقبّل جبهة أحمد بن حنبل ورأسه.

(١) تهذيب حلية الأولياء (٣/١٣٩، ١٤٠).
(٢) السابق (٣/١٤١).

وقيل: لما جرى على الإمام أحمد ما جرى، وثبـت في المحنـة، حببه الله إلى أهل الشرق والغرب، و لم يزل أحمد بن حنبل بعد ذلك في رفعة وعلوٍّ وزيادة، حتى إذا رأوه كأهم رأوا أسدًا (١).

وضحك أصحاب إسماعيل بن علية يومًا وأحمد عنده، فقـال: أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل (٢)؟!

وعن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: جالست أبـا يوسـف، ومحمد بن الحسن، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فمـا هبتُ أحدًا منهم ما هبت أحمد بن حنبل، ولقد دخلـت عليـه في السجن لأسلم عليه، فسألني رجل عن مسألة فلم أجبه هيبةً له (٣).

كراهته الشهرة:

ولما في الشهرة من آفات تؤدي إلى حـبّ الرئاسـة والعلـو والتصدر، كرهها الإمام أحمد، ومال إلى الوحدة والانفراد.

قال عبد الله: وكان أبي أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحدٌ إلا في مسجد أو حضور جنازة، أو عيادة مريض، وكـان يكـره المشي في الأسواق (٤).

وقال الميموني عنه: رأيت الوحدة أروح لقلبي.

وقال المروذي: ذكرت لأبي عبد الله عبد الوهـاب علـى أن

---

(١) الروض الفائق ص(١٧٣).
(٢) صفة الصفوة (٥١٨/١).
(٣) صفة الصفوة (٥١٩/١).
(٤) السابق (٥٢٢/١).

يلتقيا، فقال: أليس قد كره بعضهم اللقاء؟ وقال: يتزين لي، وأتزين له، وكفى بالعزلة علمًا. والفقيه من يخاف الله.

وقال لي أبو عبد الله: قيل لعبد الوهاب: أخمل ذكرك؛ فإني قد ابتليتُ بالشهرة.

وقال غيره عن أحمد: طوبى لمن أخمل الله ذكره.

ونقل عن أحمد أنه قال: أشتهي ما لا يكون؛ أشتهي مكانًا لا يكون فيه أحدٌ من الناس [1].

عمله بالعلم واتِّباعه رحمه الله:

إن العلم – كما قيل – يهتف بالعمل، والعلم بغير عمل يضر صاحبه ولا ينفعه؛ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال سبحانه: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ٤٤].

وإمامنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل – رحمه الله وأعلى درجته في المهديين – كان من الأئمة الصادقين والعلماء العاملين الذين هم قدوة للعالمين.

قال المروذي: قال لي أحمد: ما كتبت حديثًا عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به، حتى مرَّ بي في الحديث أن النبي ﷺ احتجم، وأعطى

(١) انظر الآداب الشرعية (٢/٢٩).

أبا طيبة دينارًا. [متفق عليه]، فأعطيت الحجّام دينارًا حين احتجمت.

وقال الحسين بن إسماعيل: سمعت أبي يقول: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت [(١)]!

وقال أبو القاسم بن سلَّام في الإمام أحمد: فبارك الله فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم، وإنه لكما قال مُطْريه:

يزينك إما غاب عنك فإن دنا
رأيت له وجهًا يسرك مقبلاً
يعلّم هذا الخلق ما شذَّ عنهم
من الأدب المجهول كهفًا ومعقلاً
ويحسر في ذات الإله إذا رأى
مضيمًا لأهل الحق لا يسأم البلا
وإخوانه الأدنون كل موفق
بصير بأمر الله يسمو إلى العلا [(٢)]

وبلغ من شدة اتباعه رضي الله عنه ما ذكره إبراهيم بن هانئ قال: اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام، ثم قال: اطلب لي موضعًا حتى أتحول إليه.

(١) الآداب الشرعية (١٤/٢).
(٢) السابق (١٤/٢).

قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله!

قال: إن فعلت أفدتُك.

فطلبت له موضعًا، فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام، ثم تحوّل، وليس ينبغي أن نتَّبع رسول الله ﷺ في الرخاء ونتركه في الشدة [1]!

تواضعه رحمه الله:

كان إمام أهل السنة رحمه الله شديد التواضع للخلق، لا يرى لنفسه فضلاً على أحد، وهذا من تعظيمه لله وخشيته له.

قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل؛ صحبناه خمسين سنة، ما افتخر علنيا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير[2].

وقال صالح ابنه: كان أبي إذا دعا له رجلٌ يقول: الأعمال بخواتيمها.

وقال عامر للإمام أحمد: يا أبا عبد الله! بلغني أنك رجلٌ من العرب، فمن أي العرب أنت؟

فقال لي: يا أبا النعمان! نحن قومٌ مساكين، وما نصنع بهذا؟! فكان ربما جاءني، أريده على أن يخبرني، فيعيد عليَّ مثل ذلك

---

(١) تهذيب الحلية (١٤٤/٣).
(٢) تهذيب الحلية (١٤٤/٣).

الكلام، ولا يخبرني بشيء [١].

وقال أحمد بن الحسن الترمذي: رأيت أبا عبد الله يشتري من السوق الخبز، ويحمل بنفسه الزنبيل، ورأيته يشتري الباقلاء غير مرَّة، ويجعله في زبدية أو شيء آخر، فيحمله وهو آخذ بيد عبد الله ابنه.

وقال ابنه صالح: كان أبي ربما خـــرج إلى البقـــال، فيشـــتري جرزةَ[٢] حطبٍ فيحملها [٣].

وقال أحمد: نحن إلى الساعة نتعلم [٤].

وجاء رجل إليه فقال: إن لي والدة مقعدة، نسألك أن تـــدعو لها. فغضب وقال: كيف قصدتني؟! قل لوالدتك تدعو لي، هـــذه مبتلاة، وأنا معافى. ثم دعا لها، وعوفيت [٥].

وقال رحمه الله: إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب، فدم له على ما يحب، والخير فيمن لا يرى لنفسه خيرًا.

وقال محمد بن الحسن بن هارون: رأيت أبا عبد الله إذا مشـــى في الطريق يكره أن يتبعه أحد [٦].

---

(١) الآداب الشرعية (٢/٢٩، ٣٠).
(٢) الجَرزة: الحزمة.
(٣) السابق (٢/٣٠).
(٤) السابق (٢/٦٣).
(٥) السابق (٢/٣٠).
(٦) صفة الصفوة (١/٥٢٢).

تعظيمه واحترامه للمشايخ:

ومن تواضعه رحمة الله عليه: تعظيمه واحترامه للمشايخ، وإكرامهم وإجلالهم؛ فقد روى الخلال أن أحمد جاء إلى وكيع، وعنده جماعة من الكوفيين، فجلس بين يديه من أدبه وتواضعه، فقيل: يا أبا عبد الله! إن الشيخ ليكرمك، فما لك لا تتكلّم؟ فقال: وإن كان يكرمني، فينبغي لي أن أجلّه.

وقال الحسن بن أحمد بن الليث الرازي: كنت في مجلس أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فقام إليه رجل من أهل الريّ يُقال له: بشر. فقال: يا أبا عبد الله! عندنا شاب بالري يُقال له: أبو زرعة! نكتب عنه؟

فنظر أحمد إليه كالمنكر لقوله: شابٌّ، فقال: نعم الثقة المأمون، أعلى الله كعبه، نصره الله على أعدائه.

قال الحسن: فلما قدمت الري أخبرت أبا زرعة، فاستعبر وقال: والله إني لأكون في الأمر العظيم من أذى الجهمية، فأتوقع الفرج بدعاء أبي عبد الله [1]!

هذه هي أخلاق العلماء الربانيِّين الذين هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، فأحبوا غيرهم من أهل العلم، ونصروهم، وآزروهم، وواسوهم، ودعوا لهم، وذبوا عنهم في المجالس، واعترفوا

---

(١) الآداب الشرعية (٢/٧، ٩).

لهم بالفضل، و لم يجعلوا أخطاءهم سببًا للطعن عليهم وتنفير النـــاس من مجالستهم والاستفادة منهم؛ طالما أن أخطاءهم مما يســـع فيـــه الخلاف وتتعدد فيه الآراء ووجهات النظر، فرحم الله علماء الســـنة وأحيا الله ذكرهم ورفع قدرهم في علِّيِّين.

صدقه في النصيحة يرحمه الله:

وعلى الرغم من أن الإمام أحمد رحمه الله كان يميل إلى الوحدة والانفراد بالنفس، إلا أن ذلك لم يمنعه من بذل النصح لأصـــحابه المقربين منه، والبعيدين عنه؛ بل إنه رضي الله عنه كان ينصح لكل مسلم.

فعن علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل: إني لأحب أن أصحبك إلى مكة، وما يمنعني من ذاك إلا أني أخاف أن أملّـــك أو تملّني. قال: فلما ودَّعتُه قلت له: يا أبا عبد الله! توصـــيني بشـــيء؟ قال: نعم، أَلْزم التقوى قلبك، وانصب الآخرة أمامك [(١)].

ويا لها من نصيحة جامعة، لو عمل بها الناس لكفتهم.

وعن أحمد بن يحيى ثعلب النحوي قال: كنت أحـــب أن أرى أحمد بن حنبل، فدخلت عليه فقال لي: فيم تنظر؟

قلت: في النحو والعربية والشعر. فأنشدني أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى عليه:

---

(١) الآداب الشرعية (١٩٠/٢).

إذا ما خلوتَ الدهر يومًــا فــلا تقــل
خلـــوتُ ولكـــن قـــل علـــيَّ رقيـــب
ولا تحســـبن الله يخلـــف مـــا مضـــى
ولا أن مـــا يخفـــى عليـــه يغيـــب
لهونـــا عـــن الأيـــام حـــتى تتابعـــت
ذنـــوب علـــى آثـــارهن ذنـــوب
فيـــا ليـــت أن يغفـــر الله مـــا مضـــى
ويـــأذن لي في توبـــة فـــأتوب [١]

وكان – رحمه الله – لا يخشى في النصيحة أحدًا، قال المروذي: لما حبس أحمد بن حنبل في سجن الواثق، على أن يقول: إن القرآن مخلوق. جاءه السجَّان يومًا فقال: يا أبا عبد الله! الحـــديث الـــذي يروى في الظَّلَمَةِ وأعوانهم صحيح؟ قال: صحيح.

قال السَّجّان: فإني من أعوان الظَّلمة؟

قال أبو عبد الله: لا.

قال السجان: كيف ذلك؟

قال: لأن أعوان الظلمة الذي يأخذ شعرك، ويغسل ثوبـــك، ويصلح طعامك، وأما أنت فمن الظَّلمة [٢]!

---

(١) تهذيب الحلية (١٧٠/٣).
(٢) الروض الفائق ص(١٧٢).

حلمه ورفقه رحمه الله:

ومع ما علم عن أبي عبد الله رحمه الله ورضي عنه من القوة في الحق والصدع بكلمته، إلا أنه كان رفيقًا حليمًا في تعليمه وتأديبه.

قال إبراهيم الحربي: كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وفــق للأدب، وسدّد بالحلم، وملئ بالعلم؛ أتاه رجل يومًا فقال: عنــدك كتاب زندقة؟ فسكت ساعةً ثم قال: إنما يحرزُ المــؤمن قــبره. لم يضرب الرجل، ولم ينهره، ولم يخرجه من مجلسه، وإنما وعظه بهذه الموعظة البليغة وتركه ليحاسب نفسه.

وقال الخلَّالُ: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم المعروف بلؤلؤ قـــال: حضر مجلس أبي عبد الله كبشُ الزنادقة، فقلت له: أي عــدوّ الله! أنت في مجلس أبي عبد الله! ما تصنع؟

فسمعني أحمد، فقال: ما لك؟

فقلت: هذا عدوُّ الله كبش الزنادقة قد حضر المجلس.

فقال: من أمركم بهذا؟ عمّن أخذتم هذا؟

دعوا الناس يأخذون العلم وينصرفون؛ لعل الله يــنفعهم بـــه! وكأن أبا عبد الله – رحمه الله – يعني بذلك مجموعة من علماء هذه الأزمان الذين لا يسمحون إلا لمن على شاكلتهم ممن يــوافقهم في كل شيء بالجلوس في مجالسهم، أما من عداهم، فـــإنهم يقومـــون بتعنيفه وطرده!

وقال المروذي: أخبرت أبا عبد الله عن رجل ســفيه يــتكلم

ويؤذي؟ قال: لا يعرّضوا له، إنه من لم يقرّ بقليل ما يأتي به السفيه أقر بالكثير [١].

يشير أبو عبد الله – رحمه الله – إلى أن التعرض لهذا الســفيه يزيده سفاهة، وربما تعصَّب له بعض الجاهلين فتصير فتنة؛ فالأفضل في ذلك أن يترك حتى لا يزاد شره. ومما ينسب إلى الشافعي رحمــه الله في معاملة السفهاء:

يخــاطبني الســـفيه بكـــل قـــبحٍ
فـــأكره أن أكـــون لـــه مجيبًـــا
يزيـــد ســـفاهة فأزيـــد حلمًـــا
كعـــودٍ زاده الإحـــراق طيبًـــا

وقال:

إذا نطق الســفيه فــلا تُجبــه
فخير مــن إجابتــه الســكوت
فـــإن كلمتـــه فرَّجـــت عنـــه
وإن خلّيتـــه كمـــدًا يمـــوت

وقال:

أعـــرض عـــن الجاهـــل الســـفيه
فكـــل مـــا قـــال فهـــو فيـــه

(١) الآداب الشرعية (٢/٨، ١٠).

فمـــا ضـــرَّ بحـــرَ الفـــرات يومًـــا
أن خـــاض بعـــض الكـــلاب فيـــه

وقال:

إذا ســـبني نـــذل تزايـــدتُ رفعـــة
ومـــا العيـــبُ إلا أن أكـــون مســـابه
ولـــو لم تكـــن نفســـي علـــي عزيـــزة
لمكنتـــها مـــن كـــل نـــذل تحاربـــه
ولـــو أنـــني أســـعى لنفعـــي وجـــدتني
كـــثير التـــواني للـــذي أنـــا طالبـــه
ولكـــني أســـعى لأنفـــع صـــاحبي
وعارٌ على الشبعان إن جـاع صـاحبه (١)

ورعه وعزة نفسه رحمه الله:

وكان رحمه الله من أشدِّ الناس تورُّعًا عن الحرام، حتى أنه ترك كثيرًا من الحلال مخافة أن يجرّه ذلك إلى الحـــرام، وهـــذا حقيقـــة التقوى.

قال إدريس الحدَّاد: لَّما دخل أحمد بن حنبل مكَّة للحج، عسر عليه بعض حوائجه، فأخذ سطلاً كان معه، فدفعه إلى بعض البقالين رهنًا على شيء يأخذه، فلما فتح الله عليه بفكاكه، حضر عند ذلك البقّال، فدفع له ما كان له وطلب السطلَ، فقام البقـال وأحضـر

(١) الديوان المجموع للشافعي ص(٥٢، ١٢٦).

سطلين على هيئة واحدة، وقال: قد اشتبه عليَّ سطلُك، فخذ أيهما شئت.

فقال أحمد: وأنا أُشكل عليَّ أيهما لي، والله لا أخذتُه.

فقال البقال: وأنا لا أتركه أبدًا. فاتفقا على بيعـــه والتصـــدُّق به[(١)].

لا تعرضـــــنَّ لـــــذكرنا في ذكـــــرهم
لـــيس الصـــحيح إذا مشـــى كالمقعـــد

وكان أكثر مؤونته من نبات الأرض، وكان يقول: هـــذا والله الحلال الذي ليس له حسابٌ ولا تبعة.

وكان يومًا جالسًا، فجاءت إليه امرأة، وقالت: يا سيدي! إننا جماعة نساء، نقعدُ على سطوحنا بقطن الغزل، فيمر بنا مشاعل أهل الشرطة، فيجوز لنا أن نغزل في ضوئها وشعاعها؟

فقال لها أحمد: من أنت؟

قالت: أنا أخت بشر الحافي.

فقال لها أحمد: من بيتكم خرج الورع، لا تغزلي في ضوئها [(٢)]!

الله أكبر! هذه نساؤهم ... فكيف هم؟ نسأل الله ألا يمقتنا.

وعن إسحاق بن موسى قال: دفع إليَّ المأمون مالاً أقسمه على

(١) السابق ص(١٧٢، ١٧٣).
(٢) السابق ص(١٧٢).

أصحاب الحديث؛ فإن فيهم ضعفاء، فما بقي منهم أحدٌ إلا أخذ، إلا أحمد بن حنبل فإنه أبى[1].

وجاء رجلٌ إلى أبي عبد الله من سمرقند بكتاب عبيد الله بن عبد الرحمن يجعل له مجلسًا، فأهدى إلى أبي عبد الله يومًا ثوبًا، فأعطاه رجلاً فقال: اذهب به إلى السوق فقوِّمه. فذهب، فجاء نيفٌ وعشرون درهمًا، فحجبه أبو عبد الله حتى اشترى له ثوبين ومقنعة، وبعث بها إليه، ثم أذن له فحدّثه[2].

وكان رحمه الله عزيز النفس يكره أن يمدّ يده إلى أحد مهما كانت حاجته؛ فقد قال إسحاق بن راهويه: لَمَّا خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من بعض الحمَّالين إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة، فلم يقبل من أحد شيئًا.

وعن عبد الرزاق قال: قدم علينا أحمد بن حنبل هاهنا، فقام سنتين إلا شيئًا.

فقلت له: يا أبا عبد الله! خذ هذا الشيء فانتفع به؛ فإن أرضنا ليست بأرض متجرٍ ولا مكسب، وكان عبد الرزاق قد أعطاه دنانير.

فقال أحمد: أنا بخير. ولم يقبل.

---

(١) تهذيب الحلية (٣/١٤٤).

(٢) الآداب الشرعية (٢/٣٠).

وقال عبد الله بن أحمد: قال أبي: عرض عليَّ يزيد بن هـــارون خمسمائة درهم، أو أكثر أو أقل، فلم أقبل منه، وأعطى يحيى بـــن معين وأبا مسلم المستملي فأخذا منه [1].

أنشد القاضي الجرجاني لنفسه:

يقولـــون في فيـــك انقبـــاضٌ وإنمـــا
رأوا رجـــل موقـــف الـــذل أحجمـــا
أرى الناس من دانـــاهم هـــان عنـــدهم
ومـــن لزمتـــه عـــزةُ الـــنفس أكرمـــا
ولم أقض حـــق العلـــم إن كـــان كلمـــا
بـــدا طمـــعٌ صـــيرته لي ســـلما
ومـــا كـــل بـــرق لاح لي يســـتفزني
ولا كـــل مـــن في الأرض أرضـــاه منعمـــا
إذا قيل: هـــذا منـــهل قلـــت قـــد أرى
ولكـــن نفـــس الحـــر تحتمـــل الظمـــا
ولم أبتـــذل في خدمـــة العلـــم مهجـــتي
لأخـــدم مـــن لاقيـــت لكـــن لأخـــدما
أأشـــقى بـــه غرسًـــا وأجنيـــه ذلـــة
إذًا فاتبـــاع الجهـــل قـــد كـــان أحزمـــا

(١) انظر فيما سبق: تهذيب الحلية (٣/١٤١، ١٤٢).
وهؤلاء الأئمة قد يكون لهم مقصد صحيح في أخذهم المال، فلا يجوز التشنيع عليهم بذلك، يرحم الله الجميع.

ولو أن أهـــل العلـــم صـــانوه صـــانهم
ولـــو عظَّمـــوه في النفـــوس لعُظِّمـــا
ولكـــن أذلُّـــوه فهـــان ودنَّســـوا
محيَّـــاه بالأطمـــاع حـــتى تجهَّمـــا [١]

وقال عبد الله: كنت أسمع أبي كثيرًا يقول في دبر الصلاة: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصنه عن المسألة لغيرك [٢].

خوفه وخشيتُه رحمه الله:

وكان رحمه الله شديد الخوف من الله، وقد أثر فيه ذلك حـــتى نحل جسمه واصفرَّ لونُه.

قال المروذي: سمعت الإمام أحمد قال: الخوف منعني عن أكـــل الطعام، فما اشتهيته، فإذا ذكرت الموت هان عليَّ كلُّ شيء.

وقال رحمه الله يناجي ربه: سبحانك! ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم؛ الخائف منهم مقصر، والراجي متوانٍ [٣].

وقال عبد الله ابنه: وسمعته يقول: وددتُ أني نجوت من هـــذا الأمر كفافًا؛ لا عليَّ ولا لي [٤]!

---

(١) الآداب الشرعية (٢/٥٤).
(٢) صفة الصفوة (١/٥٢٣).
(٣) الآداب الشرعية (٢/٣١). وصفة الصفوة (١/٥٢٢).
(٤) تهذيب الحلية (٣/١٥٨).

كرمه رحمه الله ومباسطته ضيوفه:

وكان رحمه الله على ضيق حاله كريمًا ينفق ما عنده، ويُضَيِّفُ أصحابه وتلامذته، ويباسطهم؛ حتى لا تمنعهم هيبته من الانبساط في المأكل والمشرب؛ قال الإمام أحمد عن المضيف: يأكل بالسرور مع الإخوان، وبالإيثار مع الفقراء، وبالمروءة مع أبناء الدنيا.

وقال جعفر بن محمد: قال لي أبو عبد الله أحمد بن حنبل يوم عيد: خذ عليك رداءك وادخل.

قال: فدخلت، فإذا مائدة وقصعة على خوان عليها عُراق، وقد زال جانبه.

فقال لي: كُلْ.

فلما رأى ما نزل لي — أي من الحياء والهيبة — قال: إن الحسن كان يقول: والله لتأكلن. وكان ابن سيرين يقول: إنما وضع الطعام ليؤكل. وكان إبراهيم بن أدهم يبيع ثيابه وينفقها على أصحابه، وكانت الدنيا أهون عليه من ذاك، وأومأ إلى جذع مطروح.

قال: فانبسطت فأكلت.

فقال: لتأكلن هذه.

وغدّى الإمامُ أحمد محمدَ بن جعفر القطيعي وأباه.

قال محمد: فجعلت آكُلُ وفيَّ انقباضٌ لمكان أحمد.

قال: فقال لي: لا تحتشم.

قال: فجعلت آكل. قالها ثلاثًا أو مرتين، ثم قال لي في الثالثة: يا بني، كُلْ؛ فإن الطعام أهون مما يُحلف عليه [١].

ثباته رحمه الله:

وأما ثبات قلبه - رحمه الله ورضي عنه - فكالجبل الشامخ الذي لا يهتز، وإن برقت أمامه السيوف، وطارت من حوله الرؤوس، وله في ذلك مواقف مشهورة.

عن إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: أُدخل أحمد بن حنبل على الخليفة، وكانوا هوَّلوا عليه، وقد كان ضرب عنق رجلين، فنظر أحمد إلى أبي عبد الرحمن الشافعي فقال: أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟!!

فقال ابن أبي داود: انظروا رجلاً هو ذا يقدَّم لضرب عنقه يناظر في الفقه [٢]!!

وعن أبي عبد الله محمد بن نوح قال: قلت لأبي عبد الله: إن رأيتَني ضعفت أو خذلت فلا تضعف؛ فلستَ أنت كأنا.

فقال لي: أبشر؛ فإنك على إحدى ثلاث: إما ألا تراه ولا يراك، وإما رأيته فكذبته فقتلك، فكنت من أفضل الشهداء، وإما رأيته فصدّقته، فحال الله بينك وبينه [٣].

---

(١) انظر فيما سبق: الآداب الشرعية (١٩٥/٣، ١٩٦).

(٢) تهذيب الحلية (١٤٧/٣).

(٣) السابق والصفحة.

وقد تقدَّم قولُ يحيى بن معين: أراد الناس منا أن نكــون مثــل أحمد بن حنبل، لا والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمـــد بـــن حنبل، ولا على طريقة أحمد.

وقال هلال بن العلاء: أربعة لهم على الإسلام مِنَّةٌ: أحمد بـــن حنبل؛ حيث ثبت على المحنة و لم يقل بخلق القرآن، وأبو عبـــد الله الشافعي؛ حيث بنى الفقه على الكتاب والسنة، وأبو عبد الله القاسم بن سلَّام؛ حيث فَسَّرَ حديث النبي ﷺ، وأبو زكريا؛ حيـــث بَـــيَّنَ الصَّحيحَ من السَّقيم (١).

كتب إليه رجلٌ من إخوانه أيام المحنة:

هـــذي الخطـــوب ســـتنتهي يـــا أحمـــد
فإذا جزعـــت مـــن الخطـــوب فمـــن لهـــا
الصـــبر يقطـــع مـــا تـــرى فاصـــبر لهـــا
فعســـــى بهـــــا أن تنجلـــــي ولعلـــــها

فأجابه أحمد:

صـــــبّرتني ووعظـــــتني فأنـــــا لهـــــا
فســـــتنجلي بـــــل لا أقـــــول لعلّهـــــا
ويحلّهـــا مـــن كـــان يملـــك عقـــدها
ثقـــة بـــه إذ كـــان يملـــك حلَّهـــا (٢)

وجاء في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي: قال أحمد: ما سمعت

(١) الروض الفائق ص(١٧٢).
(٢) الآداب الشرعية (٢/٥٩).

كلمة منذ وقعت في هذا الأمر الذي وقعت فيه – يعني فتنة خلـــق القرآن – أقوى من كلمة أعرابي كلَّمني في رحبة طـــوق – اســـم مكان – قال لي: يا أحمد! إن يقتلك الحقُّ مت شهيدًا، وإن عشت عشت حميدًا. فقوَّى قلبي (١).

وقال عبد الله بن أحمد: كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحـــم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم.

فقلت: يا أبت من أبو الهيثم؟

فقال: لما أُخرجت للسياط، ومدّت يداي للعقـــابين، إذا أنـــا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا أبو الهيثم العيّار، اللصّ الطرّار، مكتوب في ديوان أمير المـــؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرت في ذلك علـــى طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الـــرحمن لأجـــل الدين ... قال: فضربت ثمانية عشر سوطًا بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفًا، وخرج الخادم فقال: عفا عنه أمير المؤمنين (٢).

وعن ميمون بن الأصبغ قال: كنتُ ببغداد، فسمعت ضـــجة، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أحمد بن حنبل يمتحن. فدخلت، فلما ضرب سوطًا: قال باسم الله. فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. فلما ضرب الثالث: قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلمـــا ضرب الرابع قال: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ [التوبـــة:

---

(١) صفحات مضيئة من حياة السابقين (٢٦/١).
(٢) صفة الصفوة (٥٢٤/١).

٥١]، فضرب تسعة وعشرين سوطًا [(١)].

محنته رحمه الله:

قويت شوكة المعتزلة في عهد الخليفة المأمون، وقد أقنعوه بـأن القرآن مخلوق، وجعلوا من لم يقل بذلك كافرًا خارجًا عن الإسلام، فأراد المأمون امتحان العلماء وإجبارهم على القول بخلق القرآن.

قال صالح بن الإمام أحمد: ثم امتحن القوم فوجّه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعًا غير أربعة: أبي، ومحمد بن نوح، وعبيد الله بن عمر القواريري، والحسن بن حماد سجادة، ثم أجاب عبيد الله بن عمر، والحسن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نوح في الحبس، فمكثا أيامًا في الحبس [(٢)].

ولهذه المحنة روايات عديدة جمعها الأستاذ أحمد فرح عقيلان في كتابه: «أبطال ومواقف»[(٣)]، ولندعه يحدثنا عن هذه المحنة بأسلوبه الأدبي الجميل:

ظلَّ المسلمون في عافية من المذاهب المنحرفة والفرق الضالة، وظلت شراذم الجهمية والمعتزلة وغلاة الشيعة خانسين في أوكار الريبة والذل خائفين من الخلفاء الأقوياء؛ كالسفاح، وأبي جعفر، والمهدي، والهادي، والرشيد.

وكان أولئك الخلفاء لا يتسامحون فيمن يدعو إلى ضلالة؛ حتى

(١) السابق (٥٢٣/١).
(٢) تهذيب الحلية (١٤٩/٣).
(٣) أبطال ومواقف ص(٢٩٧-٣٠١).

إن الخليفة الرشيد رحمه الله أهدر دم بشر المريسي وقال: لله علــي لئن أظفرني به لأقتلنه.

فلما كان عهد الخليفة المأمون بدأ عهد انفتاح علــى الثقافــة اليونانية والرومانية وفتح عصر الترجمة، فعَرَّب كتب الإغريق والروم واستعان على ذلك بنصارى العرب، فاختلطت الثقافة والتفَّ عدد من الروافض والمعتزلة والمنافقين والجبناء وأصحاب المصالح حــول المأمون فزينوا له مذهب الاعتزال، وهو الذي يقول بــأن القــرآن مخلوق، وبأن الإنسان مطلق الاختيار بلا حدود، فاعتنق المــأمون المذهب المنحرف، وجعله مذهب الدولة، وعاقب مــن لم يوافقــه عليه.

وسار على خطوات المأمون خليفته المعتصم، وتبعه على ذلــك هارون والواثق، فاشتد الكرب على علماء السنة وأئمــة الحنيفيــة القيمة، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر.

ومات المأمون بعد إعلانه ذلك المذهب البدعي بسنة واحــدة، فانتقلت الخلافة إلى المعتصم، ونجا الإمام أحمد من المأمون؛ وذلــك لأنَّ المأمونَ طلبه إلى مدينة طرسوس ليمتحنــه، فلمــا وصــل إلى طرسوس على الساحل السوري بشره الناس بموت المأمون، فأعيــد إلى بغداد هو وزميل له من خيرة العلماء يُقال له محمد بن نوح.

وكانا في قيودها فتوفي محمد بن نوح، وفك قيده وصلى عليــه أحمد رحمهما الله، وقال أحمد بعد أن صلى عليه: رحم الله محمد بن نوح استراح من الفتنة، وأرجو أن يكون قد ختم الله له بخير. لقــد

كنا معًا في طريقنا لامتحان المأمون وهو طول الطريق يوصيني يقول لي: يا أحمد أنت لست مثلي، أنت إمام يقتدي بك، ألوف العلماء، فاصبر ولا تقل إلا ما يرضي ربَّك، فإن قتلوك فلك الجنة إن شاء الله عند الله، ولك في الدنيا ثواب كل من يثبت على الحـــق إلى يـــوم القيامة.

فلما استتبَّ الأمر للمعتصم ظل أحمد رحمه الله في قيـــوده في السجن حتى مضى عليه في سجنه أكثر من سنتين ونصـــف كـــان أثناءها يصلي بالمساجين وهو في قيوده، ويقرأ علينا فصـــولاً مـــن كتب العلم.

وأرسل إليه عالمان من المعتزلة يجادلانه في الســـجن فغلبـــهما، فأضيف على رجليه قيدان آخران، فأصبح في أربعة قيود.

ومن طريق ما غلبهما به أنه سألهما: تقولان أن القرآن مخلوق، فماذا تقولان في علم الله؟ أهو مخلوق أم قديم، قالا: هـــو مخلـــوق. فقال لهما: أنتما كافران بالله؛ لأن كلامكما يعني أن الله جل جلاله مكث وقتًا بلا علم إلى أن خلق له علمًا.

والمهم أن المعتصمَ سامحه الله أرسل وزيره «بُغا» لإحضار أحمد من سجنه إلى دار الخلافة. وقيل: أن يُحمل الإمام إلى دار الخلافة. حضر إليه إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد، وكان إسحاق في مطلع حياته متقشفًا زاهدًا حافظًا للحديث، وكان زميلاً لأحمد أيام كانا يلازمان الإمام الشافعي، فقال له: يا أحمد، إنه ليس أمامك والله إلا القتل، ولو كان القتل بالسيف لهان الأمر ولكن المعتصم أقســـم أن

يقتلك ضربًا بالسياط، وأنت لا طاقة لك بمثل هذه الميتـــة، ولقـــد أقسم أن يقتلك في موضع لا يرى فيه شمس ولا قمر.

يا أحمد، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [الزخرف: ٣].

وجعلناه معناها: أوجدناه وخلقناه. قال أحمد: قال الله تعـــالى: ﴿**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ**﴾ [الفيل: ١٠٥].

معناها أوجدهم وخلقهم؟ فسكت إسحاق.

وسار الجنود بأحمد إلى مكان يُقال له باب البستان، وهنـــاك أحضروا له دابة وحُمل عليها وهو في القيود الثقيلة، وكاد مـــرارًا يسقط لثقل القيد على وجهه حتى أوصوله إلى دار الخلافة، وهنـــا رأى أحمد حول دار الخلافة آلافًا من العلماء ومن العامَّـــة جـــاؤوا ليروا موقف أحمد، فعلم أحمد أن الأمر جدّ وأنه إذا انحـــرف ولـــو بكلمة واحدة فسوف يقتدي به ألوف الناس، فدخل أحمـــد وقـــد أجمع أمره أن يتحمل أبشع الموت في سبيل الله، وألا يتحمل أوزار هؤلاء الناس الذين ارتضوه قدوة في الدنيا وحجة في القيامة.

وفي صباح اليوم التالي جاء من المعتصم رسول ليدخله مجلـــس الخليفة فقام والقيود الثقيلة في قدميه، فرآه رسول المعتصم يشد تكة سرواله إلى أحد الأقياد ويحمل القيد على كتفه، فقال له: لم تفعـــل ذلك؟ قال: أخاف إذا اشتد الضرب أن تسقط سراويلي. فـــأتعرى فتعجب الرجل.

ثم لما دخل به على الخليفة المعتصم إذا عددٌ كبيرٌ مـــن علمـــاء

المعتزلة وكان معظمهم من زملاء أحمد، ولكن الخوف والتقية وحب المال والمنصب نالت من قلوبهم، ولاحظ أحمد أن المعتصم ينظر إليه برفق وأخوة وأن على وجه المعتصم سيما من الحنو والرغبة في نجاة الإمام، بينما رأى الوزير أحمد بن أبي داؤد وعلى وجهه غبرة حقد يمازحها تخوف وكراهية.

وأشار الخليفة المعتصم إلى الإمام أن يدنو منه حتى قربه جدًا وقال له: اجلس. فجلس وهو في أقياده. ثم قال للخليفة: أتأذن لي أن أتكلم وأخاطب هؤلاء؟ قال المعتصم: تكلم. فقال أحمد يخاطبهم: إذا جئتموني بكلمة من كتاب الله وسنة رسوله تؤيد ما تمذهبتم به فإني أتبعكم. فانبرى إليه أحد علمائهم وقال له: يقول الله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزمر: ٦٢]، والقرآن شيء. قال أحمد: يقول الله تعالى عن الريح التي أهلكت قوم هود: ﴿**تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وهي لم تدمر إلا ما أراد الله لها أن تدمّره فقال المعتصم: لولا أني وجدتك في قيد من قبلي ما عرضت لك، ثم قال لمدير الشرطة يا عبد الرحمن ألم آمرك برفع المحنة؟ فاستبشر أحمد لكن أحمد بن أبي داؤد قال للخليفة: هو والله يا أمير المؤمنين كافر مبتدع وهو يُسَفّه رأي الدولة. فقال: إذن ناقشوه. فطفق علماؤهم يجادلونه وهو يجيبهم أجوبة مسكتة كأنما يصفعهم بالإجابة صفعًا.

ثم أراد ابن أبي داود أن يناقش الإمام فلما كلمه لم يلتفت الإمام إليه فقال له الخليفة: لماذا لا تجيب الوزير؟ فقال يا أمير المؤمنين: هذا ليس من أهل العلم.

فقال الخليفة: يا أحمد، والله لئن أجبتنا إلى ما نـدعوك إليـه ورجعت إلى آراء زملائك أهل العلم لأطلقن عنك بيدي، ولأركبن إليك بجندي. وقال للإمام: يا أحمد والله إني لأشفق عليك كشفقتي على ابني هارون. فالتفت إلى الخليفة وقال: أريد يا أمير المؤمنين أي شيء من كتاب الله وسنة رسوله.

ومكث المعتصم أربعة أيام يحضره كل يوم إلى المجلس ويرسـل إليه في السجن من يرجوه أو يقنعه أن يقول كلمة واحدة تنجيـه، فلم يزد أحمد على قوله: أريد شيئًا من كتاب الله وسنة رسـوله. وعندئذ حنق المعتصم وقـال: أحضـروا العُقـابين والسـياط — والعقابان: خشبتان يوضع المضروب بينهما ليظل واقفًا للعـذاب – فلما أوقف بين الخشبتين لان المعتصم له، فقال ابـن أبي داود: إن تركته استهان الناس برأي أخيك المأمون رحمه الله وهانت علـيهم أوامر الدولة. وعندئذ أمر المعتصم بضربه على أن يضربه كل جلاَّد سوطين؛ يرجو بذلك أن يعود أحمد لمقال الخليفة بين دور الجـلاد والذي يليه حتى انخلعت يدا أحمد، وعلماء المعتزلة يقولـون لـه: إمامك وإمام المسلمين على رأسك وترد رجاءه وتعصي قوله، وهو يقول: بل كتاب الله وسنة رسوله. ثم لم يزل الجلادون يتعاورونه[1] حتى لم يعد فيه فائدة وذهب عقله، فلم يُفق إلى نفسه إلا والقيـود محلولة عنه، فجاءه رجلٌ بشراب. فقال الإمام: أنا صائم لا أفطـر. وحضرت صلاة الظهر فصلاها والدم ملء ثيابه، فقال له القاضـي

(١) يتعاورونه: يتداولونه فيما بينهم.

ابن سماعة: تصلي والدَّمُ ملء ثيابك. فقال: لقد صلى عمر يوم قتل والدّم يثعبُ من جرحه.

ثم أمر الخليفة أن يخلى سبيله، فعاد إلى بيته في نفس بغداد وهو بين الحياة والموت، واستغرقت محنته بين السجن والقيود والتعذيب ثمانية وعشرين شهرًا أخرج منها ممزق الجسم شامخ الروح، إمامًا لكل عالم في الصبر على البلاء في الله.

ومنذ عاد إلى بيته ثبَّت الله به السُّنة وقوَّى شوكة الجماعة، وجمع به شمل الصابرين، وأصبح الناس يرون في أحمد وليًا من أولياء الله إذا سأل الله أجابه وإذا استعانه أعانه، وأرسل إليه أغنياء المسلمين بالعطايا الجزيلة فما عُرف عنه أنه قبل من الناس درهمًا واحدًا ينفقه على نفسه.

وعاش رحمه الله حتى جاوز الخامسة والسبعين، وقدر الله له أن يرى أحمد بن أبي داود في أشد العذاب وكل رؤوس المعتزلة، ولما توفِّي رحمه الله سارت بغداد خلف جنازته على بكرة أبيها، وبكى عليه المسلمون والنصارى واليهود، حتى لقد قُدِّر من حضروا جنازته بمليون وأوصل البعض عددهم إلى مليونين، رحم الله الإمام وجزاه عن الإسلام خير ما يُجزى عالم عامل مجاهد بذل في الله روحه وراحته.

عفوه عمن ظلمه رحمه الله:

إن القلوب الكبيرة لا تعرف إلا العفو والرحمة، ولا تضمر في نفسها الأحقاد والضغائن، ولا تشتهي التشفِّي وحبّ الانتقام،

وهكذا كان قلب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

قال صالح: دخلت على أبي يومًا فقلت: بلغني أن رجلاً جـاء إلى فضل الأنماطي، فقال له: اجعلني في حلٍّ إذ لم أقم بنصـرتك. فقال فضل: لا جعلت أحدًا في حل. فتبسَّم أبي وسكت.

فلما كان بعد أيام قال لي: مررت بهذه الآية: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ [الشورى: ٤٠]، فنظرت في تفسيرها، فإذا هو ما حدثني به هاشم بن القاسم، حدثني المبارك، حدثني من سمع الحسن يقول: إذا جثت الأمم بين يـدي رب العـالمين يـوم القيامة، ونودوا: ليقم من أجره على الله عز وجل، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا.

قال أبي: فجعلت الميت في حِلّ من ضربه إياي. ثم جعل يقول: وما على رجل ألا يعذب الله تعالى بسببه أحدًا!

وقال في رواية حنبل وهو يداويه: اللهم لا تؤاخذهم. فلما برئ ذكره حنبل له، فقال: نعم، أحببت أن ألقى الله تعالى وليس بـيني وبين قرابة النبي ﷺ شيء، وقد جعلته في حلّ، إلا ابن أبي داود ومن كان مثله؛ فإني لا أجعلهم في حلّ [1].

وقال عبد الله: قال أبي: وجّه إلى الواثق أن اجعل المعتصـم في حلٍّ من ضَرْبه إياك. فقال: ما خرجت من داره حتى جعلته في حلٍّ. وذكرت قول النبي ﷺ: «**لا يقوم يوم القيامة إلا من عفا**». فعفوت

(١) لأن ابن أبي داود وأضرابه هم رؤوس البدعة الذين ضللوا الخليفة ومن تابعهم من المسلمين.

عنه.

وروي عن إبراهيم الحربي أنه قال: لولا أن ابن أبي داود داعية لأحللتُه [(١)].

وعن أحمد بن سنان قال: بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حلّ في يوم فتح بابك، أو في فتح عمّورية، فقال: هو في حلّ من ضربي!

الحرص على الجماعة:

لعلك أخي الحبيب لاحظت صفة بارزة من صفات الإمام أحمد رحمه الله، وهي حرصه على وحدة الأمة وجماعة المسلمين، وطاعة الأمراء في المعروف، وعدم شق عصا الطاعة.

إنه تعرض للأذى والإهانة والسجن والتعذيب والجلد والضرب والتنكيل حتى تمزق جسمه وملأت الدماء ثيابه، فعلوا به ذلك فلم يجبهم إلى شيء يخالف الكتاب والسنة، مع ذلك لم ينقل عنه حرف واحد في نبذ البيعة، والخروج عن الأئمة؛ بل كان يقول للمعتصم الذي بالغ في تعذيبه: يا أمير المؤمنين – مع أنه يعلم أن ما يدعوه إليه من القول بخلق القرآن كفر – أريد شيئًا من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ.

بل إن الناس لما علموا أن الإمام أحمد أخذ ليمتحن قاموا وأغلقوا أبواب دكاكينهم وأخذوا أسلحتهم، واستعدوا للفتنة،

---

(١) الآداب الشرعية (١/١٠٠، ١٠١).

وانتظروا ماذا يأمرهم به أحمد، فذهبوا إليه وقالوا: ما قلت يا أبـــا عبد الله حتى نقول؟

قال: وما عسى أن أقول؛ اكتبوا يا أصحاب الأخبار، واشهدوا يا معشر العامة، أن القرآن كلام الله، غير مخلوق، منه بـــدأ وإليـــه يعود. و لم يزد على ذلك، و لم يحرك الناس على الفتنـــة ومواجهـــة السلطان؛ بل صبر وصابر وجاهد في الله حق جهاده، واحتســـب أجره على الله عز وجل.

بل إنه رضي الله عنه جعل المعتصم في حلٍّ من ضربه وقال: ما خرجت من داره حتى جعلته في حلّ!

هذه قلوب العلماء المخلصـــين، لا ينتقمـــون لأنفســـهم، ولا يحرّضون على الفتنة، ولا يكتمون الحق أو يداهنون أحدًا أو يمارونه؛ بل يتكلمون بالحق، فإن قُبل منهم حمدوا الله، وإن لم يقبل منـــهم حمدوا الله.

مجمل صفات الإمام أحمد:

لعلك – أخي الكريم – بعد هذه الجولة السريعة في سيرة الإمام أحمد من خلال ما روي عنه من أخبار عرفت سبب قول إبليس له عندما تمثل له في سياق موته، عاضًا على أصبعه وهو يقول: «فـــتَّني يا أحمد». ولعلك الآن قد تيقَّنتَ أن لحسن الخاتمة علامات، وأن ما ذكر من فضائل أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمـــه الله هـــو مـــن علامات حسن الخاتمة.

ولعلك الآن قد حرصت أكثر على الاقتداء بهذا الإمـــام؛ بـــل

الاقتداء بإمامه رسول الله ﷺ؛ قال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لـــن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرَّقا حتى يـــردا علـــى الحوض**». [الحاكم وصحَّحه الألباني].

ونختم هذا البحث بذكر بعض صفات الإمام أحمد على طريق الإجمال مما رواه تلامذته وأصحابه:

- قال المروذي: كان أبو عبد الله لا يجهل، وإن جهل عليـــه احتمل، وحلم، ويقول: يكفيني الله.

- و لم يكن بالحقود ولا العجول.

- ولقد وقع بين عمّه وجيرانه منازعة، فكانوا يجيئـــون إلى أبي عبد الله، فلا يظهر لهم ميله إلى عمه، ولا يغضب لعمه، ويلقاهم بما يعرفونه من الكرامة.

- وكان أبو عبد الله كثير التواضع، يحبّ الفقراء، لم أرَ الفقيرَ في مجلس أحدٍ أعزّ منه في مجلسه، مائل إليهم، مقصر عن أهل الدنيا، تعلوه السكينة والوقار إذا جلس في مجلسه بعد العصـــر، لم يـــتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج من مجلسه لم يتصدّر.

- يقعد حيث انتهى به المجلس.

- وكان لا يقطن الأماكن ويكره إيطانها، وكان إذا انتهى إلى مجلس قوم جلس حيث انتهى به المجلس.

- وصحبته في السفر والحضر، وكان حسن الخلق، دائم البشر، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ.

- وكان يحب في الله، ويبغض في الله.

- وكان إذا أحب رجلاً أحبّ له ما يحبّ لنفسه، وكره له ما يكره لنفسه، ولم يمنعه حبُّه من أن يأخذ على يديه، ويكفَّه عن ظلمٍ أو إثم أو مكروه إن كان منه.

- وكان إذا بلغه عن رجل صلاح أو زهد أو اتباع الأثر سأل عنه، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة.

- وكان رجلاً وطيئًا؛ إذا كان حديثٌ لا يرضـاه اضـطرب لذلك، وتبيَّن التغير في وجهه غضبًا لله، ولا يغضـب لنفسـه ولا ينتصر لها، فإذا كان في أمر من الدين اشتدَّ غضبه له.

وكان أبو عبد الله حسن الجوار يؤذى فيصبر، ويحتمـل الأذى من الجيران.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن يونس: رأيت أحمد بـن حنبـل رضي الله عنه وقد صلى الغداة، فدخل منزله وقال: لا تتبعوني مرة أخرى. وكان يمشي وحده متواضعًا.

وقال ابن هانئ: رأيت أبا عبد الله إذا التقى امرأتين في الطريق وكان طريقه بينهما، وقف ولم يمرّ حتى تجوزا!

وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي: سمعت جدي يقول: كان أبو عبد الله من أحيى الناس وأكرمهم نفسًا، وأحسنهم عشرة وأدبًا؛ كثير الإطراق والغضّ، معرضًا عن القبيح واللغو، لا يُسـمع منه إلا المذاكرة بالحديث والرجال والطـرق، وذِكْـر الصـالحين

والزُّهَّاد في وقارٍ وسكون ولفظٍ حسن، وإذا لقيه إنسانٌ بـــشَّ بـــه وأقبل عليه، وكان يتواضع تواضعًا شـــديدًا، وكـــانوا يكرِّمونـــه ويعظِّمونه، ويحبونه [1].

(١) انظر فيما سبق: الآداب الشرعية (٢/٧-٩).

فهرس الموضوعات

